الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
محاضرات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس ـ الدراسات اللغوية بنظام (ل.م.د.)
مقياس منهجية البحث اللغوي
إعداد الأستاذة: دلولة قادري

المحاضرة الثانية
البحث اللغوي أهميته وأهدافه

البحث اللغوي: أهميته وأهدافه

أولا: تعريف البحث اللغوي:

أ- **البحث لغة:** لقد جاءت مادة (بحث) في اللغة العربية بمعان كثيرة منها طلب الشيء في التراب، وبمعنى السؤال عن الشيء، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175ه): " البحث: طلبك شيئا في التراب، وسؤالك مستخبرا، تقول: أستبحث عنه و أبحث، وهو يبحث بحثا، و البحوث من الإبل التي إذا سارت بحثت التراب بأيديها ترمي به إلى خلفها". وذكرها ابن فارس (ت 395ه) بمعنى إثارة الشيء أو طلب علمه فقال : " الباء والحاء والثاء أصل واحد، يدل على إثارة الشيء ...والبحث: أن تسأل عن شيء وتستخبر." وهي المعاني نفسها التي ذكرها ابن منظور (ت 711ه) وأضاف إليها معنى التفتيش واللعب بالتراب وذكر بعض استعمالاتهما في اللغة العربية فقال: " البحث: طلبك الشيء في التراب، بحثه يبحثه بحثا... والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا: سأل."

ولم يبتعد مرتضى الزبيدي (ت 1205ه) عن تلك المعاني مضيفا إليها معاني الاستخبار والبعثرة وإظهار السر أو إخفاؤه، وذكر بعض الاستعمالات الأخرى التي تدل في مجملها على البحث و التفتيش، فقال : " البحث: طلبك الشيء في التراب، بحثه يبحثه بحثا وابتحثه فهو يتعدى بنفسه،

وكثيرا ما يستعمله المصنفون متعديا بفي، فيقولون: بحث فيه... والبحث: أن يسأل عن شيء و يخبر... وابتحث وتبحث عن الشيء بمعنى واحد أي: فتش عنه."

ويمكن إجمال معاني مادة (البحث) الواردة في المعاجم العربية في: الإثارة، والتتبع، والتفتيش، والكشف والتنقيب ؛ والسؤال، والتحري؛ والتقصي؛ وطلب علم الشيء ، وإظهار السر، و البعثرة، واللعب بالتراب ، وغير ذلك من المعاني التي تكاد تجتمع على معنى التفتيش والكشف عن المستور، وقد تكون بمعنى الفحص.

ب-البحث اصطلاحا: أما تعريفها الاصطلاحي، فإن كلمة (بحث) غالبا ما تكون مرتبطة بكلمة العلم، والبحث العلمي هو التنقيب عن مجموعة من المعلومات التي تخص شيئا علميا محددا ، وفق مناهج علمية دقيقة، فنقول: البحث اللغوي، والبحث الأدبي والبحث الاجتماعي، والقانوني، والرياضي، والفيزيائي، وغير ذلك، وهناك عدة تعريفات تحاول تحديد مفهوم البحث العلمي، ومنها: أنه " طريقة منظمة أو فحص استفساري منظم الاكتشاف حقائق جديدة، والتثبت من حقائق قديمة والعلاقات التي تربط فيما بينها أو القوانين التي تحكمها". وعرف علي جواد الطاهر البحث العلمي واستنبط منه تعريفا للبحث الأدبي فقال : البحث (recherche) research): طلب الحقيقة وتقصيها وإذاعتها في الناس، والبحث الأدبي: طلب الحقيقة الأدبية فيما حفظ لنا من التراث من مصادر وإذاعتها." كما حاول عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات ذكر بعض التعريفات للبحث العلم منها: " البحث العلمي هو المحاولة الدقيقة النافذة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق البشرية، ويولد البحث العلمي نتيجة لحب الاستطلاع، ويغذيه الشوق العميق إلى معرفة الحقيقة وتحسين الوسائل التي تعالج بما مختلف الأشياء، حقا إن البحث العلمي شيء ثمين لأنه يمنح الإنسان مفتاح للتقدم الاجتماعي."

و بالجمع بين التعريفات السابقة يمكننا القول بأن البحث العلمي هو عملية التنقيب عن المعرفة بتقص دقيق ونقد عميق لموضوع معين وفق المنهج العلمي لتحقيق هدف معين ، ثم عرضه عرضا مكتملا بذكاء وإدراك، مع التركيز على أهم الأسس التي يقوم عليها البحث العلمي ، وهي العناصر الخمسة المتمثلة في: تحديد موضوع الدراسة وفرض الفروض، الدقة والموضوعية في التحليل، المنهج العلمي، تحديد الأهداف، عرض النتائج و تعميمها بعد التأكد منها وتجريبها.

ج- **تعريف البحث اللغوي:** البحث اللغوي هو دراسة النصوص و الظواهر اللغوية بجمعها واستقصائها وتحليلها، وتبيين ما اشتملت عليه من عناصر، ووصفها وصفا لغويا، وملاحظة وتوضيح ما بينها من علاقات، وما تؤديه الكلمات من وظائف في التركيب، وما تدل عليه التراكيب من معاني، مع مراعاة عدم التدخل برأي الباحث في شيء من ذلك ، والاكتفاء بالرصد والملاحظة والتحليل والوصف ، وعدم تجاوز تلك النصوص أو الظواهر اللغوية إلى أي شيء آخر لا يمت إلى اللغة، بسبب فلسفة أو منطق أو أمور غيبية لا سند لها من النص اللغوي، وبذلك نجد أن البحث اللغوي لا يختلف كثيرا عن البحث العلمي إلا من حيث أن الثاني عام يصلح لكل العلوم والميادين، بينما البحث اللغوي خاص بميدان اللغة، ويجعل اللغة مادة له ولا يتجاوزها إلى شيء آخر، ولا يختلف البحث من ميدان لآخر إلا من حيث الوسائل والإمكانات التي تقتضيها طبيعة البحث في كل ميدان، ذلك أن البحث اللغوي لم يعد جزءا لا يتجزأ من التفكير الفلسفي القديم، ولم يعد يختلط بالنظريات المنطقية والميتافيزيقية، بل أصبح للبحث اللغوي منهجه العلمي الذي يسير عليه على غرار العلوم الطبيعية والرياضية الأخرى، يقول تمام حسان (ت 2001م): " وتبدو الحاجة ملحة في أيامنا هذه إلى بناء الدراسات اللغوية على منهج له فلسفته وتجاربه إرضاءا للروح العلمية الخالصة من جهة، وتوفيرا لجهود عشاق اللغة من جهة أخرى". وعليه فإن البحث اللغوي ينبني على الأسس نفسها التي ينبني عليها البحث العلمي ويمكننا تعريف البحث اللغوي إذا بأنه: عملية التنقيب عن اللغة بتقص دقيق ونقد عميق لإحدى أو بعض ظواهرها، وفق المنهج العلمي الدقيق لتحقيق هدف معين ، ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء

وإدراك، فالبحث اللغوي هو بالأساس بحث علمي تحكمه القوانين والقواعد العلمية، ولذلك كان لزاما أن يتسم بالدقة والتعمق في الطرح، وأن يبتعد عن الذاتية ، وأن لا يقبل الباحث كل ما يقرأه أو يسمعه ، بل عليه أن يمحصه ويتأكد من صحته بالطرق العلمية، ثم يقبله بعد ذلك، أي أن يكون تفكيره تفكيرا نقديا بناء، يسير وفق خطوتين متكاملتين : خطوة تحليلية نقدية، وخطوة ايجابية تركيبية بنائية، حيث يقوم الباحث في الخطوة التحليلية بدراسة المعطيات المتوفرة لديه من المادة العلمية التي جمعها، فيعمل على تحليلها وتفتيتها وصولا إلى أدق تفاصيلها، لمعرفة الأسس المكونة لها وكيف تم تركيبها، وتقتضي عملية التحليل قدرة الباحث على التفنيد والنقد، وعدم التسليم بالآراء التي يقرأها إلا بعد التأكد من سلامتها من الناحية الاستدلالية، ثم يتبع هذه الخطوة بأخرى تركيبية بنائية ، يكشف فيها عن العلاقات الرابطة بين المعطيات والنتائج.

ثانيا: **أهمية البحث اللغوي:**

للبحث اللغوي أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء ، ويكتسب البحث اللغوي أهميته من أهمية مادته وهي اللغة، والحقيقة أن أهمية البحث اللغوي لا تبتعد عن تلك الأهمية التي تحيط بالبحث العلمي، ذلك أن أهميته أكبر بكثير من أن تعد أو تحصى لأنه موغل في حياة البشرية جمعاء ومتشابك إلى حد كبير مع مختلف العلوم والمعارف، لذلك حاولت ذكر أهم هذه العناصر:

1- **أهمية البحث اللغوي بالنسبة للباحث:** يمكن للباحث أن يدرك تلك الأهمية من خلال تجربته الشخصية في ميدان البحث العلمي، ومن خلال ممارسته الميدانية لهذا النوع من الأبحاث، ويمكن إجمال تلك الأهمية في العناصر الآتية :

- يتيح البحث اللغوي والعلمي عموما للباحث الاعتماد على نفسه في اكتساب المعلومة.

- تعويده على التأمل والملاحظة القوية والدقيقة، ويمكنه من اكتساب نظام تحليل قوي ومتخصص.

- يجعل الباحث متميزا في تفكيره وسلوكه وحركته ، ويجعله شخصا منضبطا، ويجعل تفكيره منطقيا.

- يتيح له فرصة الاطلاع على مختلف المناهج والقدرة على اختيار الأفضل والأنسب.

- يعوده على القراءة والمطالعة، ويكسبه ثروة لغوية فنية ومتخصصة وذخيرة كبيرة من المعلومات والحقائق، ويعوده على الأسلوب اللغوي الراقي.

- يكسبه القدرة على اختيار الأفضل من مصادر المعلومات بما يتناسب مع طبيعة و موضوع بحثه.

- يكسبه الشجاعة الأدبية والأمانة العلمية.

- يمكنه من الاحتكاك بالأساتذة ذوي الاختصاص والإفادة من تجاربهم.

- يمكنه من التعمق في تخصصه ويكسبه الأسلوب العلمي القوي.

- يكسبه الأدوات التي تمكنه من التعرف على أخطاء غيره من الباحثين الذين سبقوه في الميدان.

2 - أهمية البحث اللغوي بالنسبة للمجتمع : تكمن أهمية البحث اللغوي بالنسبة للمجتمع في أنه يحقق له الرفاهية والازدهار والتقدم، وذلك من خلال أنه:

- ضرورة ملحة لقيام مجتمع إنساني يتعاون في إقامة الحضارة.

- يقدم للإنسانية شيئا جديدا ، يسهم في تطوير المجتمعات ونموها وتهذيبها، ومواكبة السباق الحضاري بين الأمم، لأن طبيعة اللغة المستعملة توحي بطبيعة المجتمع وما يعانيه من مشاكل اجتماعية.

- يسهم في النضج الفكري لدى المجتمعات ويصحح الكثير من المفاهيم والتصورات الخاطئة التي تعتمد على الخرافات والأوهام.

- يسجل آخر ما توصل إليه الفكر الإنساني في المجال اللغوي.

- يجعل أفراد المجتمع يشعرون بتلك الرابطة التاريخية بين الأجيال المختلفة من الشعب الواحد على رغم اختلاف العصور، ما ينتج عنه الإحساس بالوحدة الشعبية بين الخلف والسلف.

- يسهل حياة الناس بما يتوصل إليه من نتائج في طريقة التواصل الجيد، ليعيش الناس في انسجام و تفاهم واطمئنان.

3- أهمية البحث اللغوي بالنسبة للتعليم : تكمن أهمية البحث اللغوي بالنسبة للتعليم في عناصر كثيرة، أهمها:

- يطور وينشر العلم والثقافة والوعي والأخلاق القويمة في المجتمعات، ويسهم بشكل كبير في تعليم اللغات.

- يدرس المشكلات في الواقع اللغوي، كازدواجية اللغة، ويقدم الحلول المناسبة لها، بإظهار المزيد من المعلومات التي تكشف الحقائق.

- يمكن أفراد المجتمع من تجاوز صعوبات التعلم والتحصيل المعرفي، على غرار البحث في المصطلحات العلمية.

- يسهم في تطوير التعليم، ومثال ذلك ما أفاده المعلمون في المدارس من الطريقة الألمانية في عمل الأطلس اللغوي.

- يرتفع البحث اللغوي بمستوى التعليم إذا ارتفع مستواه، وينخفض به إذا انخفض مستواه، لأن اللغة أخطر وسيلة من وسائل التعليم على الإطلاق.

- يسهم في تحسين الممارسات المهنية في التعليم إن كان مجاله تربوي.

4- أهمية البحث اللغوي بالنسبة للدول:

- ينمي اقتصاد البلدان، بالتنافس في ميدان المعاملة وفي صميم الحياة نفسها، ذلك أن هذا الاقتصاد يعتمد على نتائج البحث اللغوي التي تظهر أسباب وتجليات ما يسمى بالصراع اللغوي، حيث تدور المنافسة بين دولتين أو أكثر حول انضمام دائم لعدد كبير من عناصر إحدى اللغتين إلى الأخرى.

- البحث اللغوي يتناول مادة هي من أخطر الأسلحة للهيمنة على الحضارة والعلوم، ألا وهي اللغة ، وهي من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار.

- إن البحث اللغوي يسهم في تحديد المناهج المناسبة لدراسة اللغة والأساليب التي من شأنها تسهيل تعلمها، ومن ثم فإن الأمة تجلب الأصدقاء من الأجانب بتعلم لغتها وتفرض احترامها

5 - أهمية البحث اللغوي بالنسبة للعلوم والتكنولوجيا:

- يمكن لعلماء النفس الإفادة من نتائج البحث اللغوي واستخدامها في تحليل تشكلات اللاوعي وفي التحليل النفسي بشكل عام ، ومن نتائج ذلك أن معرفة العالم ومعرفة الآخرين، بل ومعرفة الذات يحددها اللسان.

- يفيد كثيرا علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الذين يرون بأن النشاط الرئيسي للذهن هو العملية الرمزية التي تتمثل في اللغة، وبالتالي يمكن إرجاع الأنساق الرئيسة التي ينظم بها الإنسان حياته الاجتماعية إلى تلك البناءات الأساس المشتركة بين كل اللغات البشرية.

- يسهم في الكتابة الصحيحة لتاريخ الشعوب، إذ من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح لشعب من الشعوب إلا إذا عرفت اللغات المحلية في تلك البلاد و درست دراسة عميقة.

- للبحث اللغوي دور كبير وأهمية بالغة في التكنولوجيا الحديثة ، فلولا البحث اللغوي لما استطاع الحاسوب أن يحاكي الإنسان في نطقه.

ثالثا: أهداف البحث اللغوي:

تختلف أهداف البحث اللغوي عن أهميته، من حيث أن الأهمية هي ذلك الأثر الذي يتركه البحث في نفس الباحث وفي المجتمع، وهي تلك القيمة التي يضيفها لشتى العلوم والمعارف، أما الهدف فهو الغرض من البحث و الغايات المرجو تحقيقها من خلاله، ولكل منهما عناصره التي تحدده، فأهداف البحث اللغوي والعلمي عموما، هي أهداف متعددة بتعدد اهتمامات الباحثين ومجالات أبحاثهم، ومن القوانين التي يهدف البحث اللغوي إلى تحقيقها وبنائها، ما يتعلق بعنصر الأصوات، ومنها ما يتعلق بالدلالات، ومنها ما يتعلق بحياة اللغة، ومنها ما يتعلق بوظائفها، وغير ذلك من مجالات البحث اللغوي، وقد تكون هذه القوانين عامة تخضع إليها جميع اللغات، وقد تكون خاصة تنطبق على فصيلة من اللغات، أو أخص من ذلك بحيث تنطبق على لغة معينة، ثم إن المؤكد أن الظواهر اللغوية تحكمها قوانين لا يمكن للبشر اكتشافها إلا بالبحث العلمي، وهي لا تقل أهمية عن تلك القوانين التي تحكم الظواهر الكونية والطبيعية، يقول عبد الواحد وافي (ت 1991م): " أن الظواهر اللغوية لا تسير وفقا لإرادة الأفراد والمجتمعات أو تبعا للأهواء والمصادفات، وإنما تسير وفقا لنواميس لا تقل في ثباتها وصرامتها واطرادها وعدم قابليتها عن التخلف عن النواميس الخاضعة لها ظواهر الفلك والطبيعة، فقد يكون في استطاعة الفرد أو في استطاعة الجماعة اختراع لفظ أو تركيب ، ولكن بمجرد أن يقذف بهذا اللفظ أو بهذا التركيب في التداول اللغوي وتتناقله الألسنة، يفلت من إرادة مخترعه ويخضع في سيره وتطوره وحياته لقوانين ثابتة صارمة لا يستطيع الفرد ولا الجماعة تعويقها أو تغييرها."

ولذلك يكاد يتفق علماء العربية الأوائل وعلماء اللغة المحدثون على أنه من الصعوبة بمكان، في بعض مجالات البحث اللغوي، تحقيق الدقة في تحديد قوانين صارمة تحكم ظواهرها على غرار المستوى الدلالي، يقول علي عبد الواحد وافي : " فكثير ممن كشفوه لم يصل بعد في دقته وضبطه وعمومه إلى المستوى الذي يستحق فيه اسم (القوانين) ...وذلك أن العوامل التي تؤثر في معاني الكلمات وفي قواعد اللغة وأساليبها فتؤدي إلى اختلافها وتطورها وما إلى ذلك، يرجع أهمها إلى ظواهر اجتماعية وتاريخية وسياسية وثقافية وهلم جرا، وعوامل هذا شأنهما ليس من اليسير تحديد آثار كل منها وتحديد العلاقات التي تربطه بالظواهر اللغوية"، وفي المقابل فإن المستوى الصوتي هو أقرب المستويات التي يمكن من خلال البحث فيها الخلوص إلى قوانين علمية دقيقة، وقد أرجع بعض الباحثين ذلك إلى عدة عوامل من شأنها تسهيل عملية تحديد آثارها وتحديد العلاقات التي توجد بينها وبين مختلف الظواهر اللغوية، منها:

- أعضاء النطق وطريقة أدائها لوظائفها.

- تأثر الظواهر الصوتية بالظواهر الجغرافية.

- أساليب انتقالها بطريق الوراثة من الأصول إلى الفروع.

ومن القوانين التي بناها علماء العربية القدامى، على سبيل المثال لا الحصر، قانون الإدغام، ومن أمثلة القوانين التي خلص إليها الدرس الصوتي الحديث، تلك الخاصة بتطور أصوات اللغة العربية، وغير ذلك.

وقد أدى هذا التحديد لأهداف البحث اللغوي والعلمي عموما ببعض الباحثين إلى تصنيفه وفق هذه الأهداف إلى نوعين، هما: البحث الريادي الذي يتم فيه اكتشاف معرفة جديدة ويلعب دورا أكبر في توسيع المعرفة الإنسانية، و غير الريادي الذي يكتفي بتجميع المادة أو الكشف عنها أو عرضها للمقارنة والتحليل والنقد ، وكمثال على البحث اللغوي الريادي ، تلك الأبحاث اللغوية التي ساعدت علماء الحاسوب في جعله يحاكي نطق الإنسان.

خلاصة: مما سبق ذكره، نستنتج أن أهداف البحث اللغوي وأهميته، تتقاطع مع أهداف البحث العلمي نفسه، إن لم نقل أن كليهما يصب في مجرى واحد ألا وهو خدمة المجتمع والنهوض بأفكاره وتطويرها .